الصيانة والترميم:

تمهيد:

أصبح علم ترميم وصيانة الآثار يحظى باهتمام الشعوب المتحضرة لأن هذا العلم يهدف في بالدرجة الأولى إلى الحفاظ على الدلائل المادية التي تعطي صورة عن مراحل التطور الإنساني كما أن علماء هذا المجال يسعون في الوقت الحاضر إلى بلورة أهداف علم الترميم وتحديدها في هدف واحد ألا وهو الحفاظ على التراث الإنساني لأطول فترة ممكنة من الزمن،ومن دون شك فإن علم الترميم يختلف عن غيره من العلوم المعاصرة إذ نجح علماء الترميم في عقد صلات وطيدة بينهم وبين علماء في شتى العلوم دون أن يفقد علم الترميم مكانته بين هذه العلوم.

1- مفهوم الصيانة والترميم:

أ : الترميم:

لقد حظى مصطلح "ترميم" باهتمام العديد من الباحثين الأوروبيين في ميدان ترميم الآثار في العصر الحديث. وقد اتفق كثير منهم على المعنى الذي يدل عليه مصطلح الترميمفهو يطلق على الأعمال التطبيقية التي يقوم بها المرممون من أجل حماية المبنى الأثري من الانهيار أو التلف بالإضافة إلى إصلاح ما تلف من المقتنيات الفنية المختلفة.

ب: الصيانة:

يطلق مصطلح الصيانة على الأعمال التطبيقية والبحثية التي يقوم بها المتخصصون في صيانة الآثار قصد المحافظة على الآثار بشتى أنواعها وصيانتها من التلف في الحاضر والمستقبل مستعينين في سبيل تحقيق هذا الهدف بما وفرته لهم علوم الكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم التجريبية من نتائج علمية وأجهزة حديثة يستخدمها المختصون في صيانة الآثار وكذلك في فحص مكونات الآثار المختلفة وتعيين خصائصها الفيزيائية والكيميائية، وتحديد خطورة التلف الذى الحق بها، ومظاهره المختلفة على أسس علمية واختيار أفضل المواد الكيميائية وأنسب الطرق لصيانة الآثار وحمايتها من التلف حاضرا ومستقبلا.
وهكذا نجد أن مصطلح الصيانة في مدلوله أعم وأشمل من مصطلح الترميم وإن كان مصطلح الترميم يعتبر أقدم استخداما من مصطلح الصيانة في ميدان ترميم وصيانة الآثار.

2- تطور الصيانة والترميم:

يشير محمد عبد الهادي محمد في كتابه **"دراسات علمية في ترميم وصيانة الاثار غير العضوية"** ما يلي: "يمكن القول استناداً إلى مضمون مصطلحترميمالذي يعنى إصلاح وعلاج ما قد تلف من الأشياء المادية التي لها قيمة نفعية أو جمالية أو تراثية بالنسبة للإنسان ، فإن عمليات ترميم وإصلاح ما قد تلف من المباني والمقتنيات المختلفة قد عرفها الإنسان القديم منذ أن عرف حياة الاستقرار. وأتخذ له مسكنا سواء شيده من جدوع النخيل أو الأشجار وقام بتسقيفه بسعف النخيل والنباتات الجافة المختلفة وغطى سطحه الخارجي في بعض المراحل التاريخية بطبقات من الطين لسد الفراغات التي قد توجد بين جدوع الأشجار والنخيل. كما توصل الإنسان بعد ذلك إلى تشيد منزل أكثر قوة وصلابة من هذا المنزل البسيط حيث قام بتشييده بالطوب واللبن المخلوط بالتبن. وعندما كانت تتعرض هذه المنازل للانهيار بفعل الزلازل أو الأمطار أو العواصف الرعدية أو الحرائق وغيرها من العوامل الطبيعية المختلفة. كان الإنسان القديم يعيد بناء هذه المنازل أو اصلاح ما قد تلف من أجزائها كما عرف الإنسان القديم كيف طريقة اصلاح ما قد تلف من أدوات الصيد والطهي وغير ذلك من الأدوات التي كان يستخدمها في الأنشطة اليومية المختلفة وهكذا يمكن اعتبار هذه العمليات البدائية **البدايات الأولى لنشأة ترميم المنشآت المختلفة** وإصلاح ما قد تلف من الأدوات المختلفة التي تعرضت للتلف كي يستعين بها الإنسان على ممارسة أنشطته المختلفة في حياته اليومية". ولكن هل تعتبر هذه العملية ترميم بالمفهوم الحالي لعملية الترميم؟

1-2: الترميم والصيانة عند اليونان والرومان:

تذكر المصادر التاريخية أن اليونانين والرومان قد اهتموا بإصلاح منشآتهم المعمارية التي تعرضت للتلف أو الانهيار لأسباب طبيعية أو بشرية مختلفة وحافظوا على التحف الفنية التي كانت تضمها هذه المنشآت وكان يتولى الفنانون والمهندسون دون غيرهم القيام بأعمال الترميم والصيانة وإصلاح ما قد تلف من هذه المنشآت أو التحف الفنية المختلفة ومن المعروف أن اليونانيين القدماء قد أرسوا تقليدا فنيا يقوم على أساس أن الفنانين يعتبرون أقدر من غيرهم في ترميم الأعمال الفنية والتحف القديمة لأنهم على دراية بطبيعة العمل الفني وما به من زخارف مختلفة وتجدر الإشارة إلى أن هذا التقليد الفني ظل متبعا في ترميم الأعمال الفنية قرونا عديدة في أثينا وخارجها. وقد احتل الفنانون الذين يقومون بأعمال الترميم مكانة طيبة في المجتمع بفضل تشجيع المسؤولين.

2-2 الصيانة والترميم في العصور الوسطى:

نشأت في العصور الوسطى طائفة أطلق عليها اسم**"الفنانون المرممون"** في أوربا وقد قامت هذه الطائفة بدور هام في إعادة تلوين معظم الأيقونات وأعمال النحت الفنية المختلفة الموجودة داخل الكنائس التي تمثل مناظر دينية مثل السيدة العذراء وهى تحمل ابنها السيد المسيح وصورة القديسين وغيرها من العناصر الفنية المعروفة في الفن المسيحي.

وكانت الألوان الجديدة التي أضافها هؤلاء الفنانون المرممون إلى تلك الأعمال الفنية مخالفة للألوان الأصلية التي تتميز بها هذه الأعمال الفنية والتي تعرضت للتلف وأصبحت داكنة بسبب عوامل التلف الكيميائيالضوئي وغيرها من عوامل التلف ذات المصادر المختلفة. وكان هؤلاء الفنانين المرممين يقومون بتلك الأعمال استناداً إلى حقيقة هامة كانت معروفة في الحياة الثقافية الأوربية في ذلك الوقت أساسها أن الفن مسخر لخدمة الأغراض والأهداف الدينية. أي في خدمة الرب. فالمنحوتات المختلفة وأعمال التصوير التي تمثل المناظر الدينية إنما هي رموز دينية يجب أن تبدو دائما في أجمل صورة وألوانها جديدة ومشرقة حتى تبعث السرور في نفوس المشاهدين المترددين على دور العبادة.